International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume 4, Issue 4, 2022

The Epistemology of the Phonetic Term towards a Phonetic Approach To Substitution in Arabic

Dr. Zain Al-Abidin Suleiman

Sultan Moulay Slimane University – Beni Mellal, Morocco

Received: 8/9/2022
Revised: 12/10/20232
Accepted: 17/11/2022
Published online: 22/12/2022

* *Corresponding author:*
Email:
Zineelabidine.slimane@gmail.com

https://doi.org/10.65811/443
Citation: Suleiman, Z. (2022). The epistemology of the phonetic term towards a phonetic approach to substitution in Arabic. *International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 4(4).*

©2022 The Author (s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license.
https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 2706-8455

Abstract

This study examines the phonetic term through the analysis of phonetic changes in the Arabic language, with particular emphasis on the phenomenon of substitution and its role in linguistic development. It views language as a living social phenomenon whose phonetic, structural, and semantic elements evolve over time. Phonological development represents a fundamental aspect of linguistic change, and the phonetic term occupies a central position in the linguistic system, attracting the attention of both classical and modern scholars due to its importance in linguistic analysis and knowledge integration.

Keywords: International law, international organizations, United Nations, dispute settlement.

إبستمولوجيا المصطلح الصوتي نحو مقاربة صواتية للإبدال في العربية

د. زين العابدين سليمان

الملخص: تتناول هذه الدراسة المصطلح الصوتي من خلال تحليل التغيرات الصوتية في اللغة العربية، ولا سيما ظاهرة الإبدال، وبيان دورها في إثراء اللغة وتطورها. وتنطلق الدراسة من كون اللغة ظاهرة اجتماعية حية تتأثر بالمجتمع وثقافته، وتخضع عناصرها الصوتية والبنيوية والدلالية للتغير المستمر. ويُعد التطور الصوتي أحد أبرز مظاهر التطور اللغوي، إذ يحتل المصطلح الصوتي مكانة أساسية في البناء اللغوي، وقد حظي باهتمام كبير لدى الدارسين قديمًا وحديثًا لما له من أثر في توحيد الجهود العلمية وتحقيق التكامل المعرفي.

الكلمات الدالة: القانون الدولي، المنظمات الدولية، الأمم المتحدة، تسوية المنازعات.

المقدمة

إن تطور اللغة عامة والمصطلح الصوتي خاصة في كل لحظة هو أمر واقع وكائن، لأن اللغة تميل إلى التغير سواء خلال الزمان أو عبر المكان، يقول أندريه مارتينيه: "إن اللسان يتغير ببطء بالتدريـج، وإن التطور لن يؤثر على الفهم"(مارتينيه، ١٩٩٦)، فالمصطلح هو ناتج عن اتفاق جماعة مخصوصة على وضع شيء اتفاقا ليس عشوائيا أو عبثا، وإنما ينطلق من أسس أبرزها وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة أو صغيرة كانت بين المدلولين اللغوي والاصطلاحي.

ويقصد بتطور المصطلح الصوتي تلك التغيرات التي تعرفها الأصوات داخل أبنيتها، والناتجة عن عوامل اللجوء إلى التيسير والتخفيف بين الأصوات المتنافرة بغية التقريب فيما بينها، والتطور الصوتي هو تطور جنس الصوت أو مادته وفق قواعد محددة، يقول في هذا الصدد الدكتور رمضان عبد التواب: والخطأ اللغوي لا يدخل في التطور، لأنه خروج عن قواعد العربية وعُرْفها في التعبير، وإخراج الصوت من غير مخرجه لا يدخل في التطور الصوتي لخروجه عن النظام الصوتي في العربية، وهذا التغير لا نسميه تطورا، لأنه وقع خطأ أو تأثرا باللغات الأخرى أو توهما أو تصحيفا (عبد التواب، ٢٠٠٠ ص:٣٥، بتصرف).

وبذلك نقول إذا عَرف مصطلح التطور اللغوي حظه من الخلاف المصطلحي، فإن التطور الصوتي كان له الحظ الأوفر من ذلك، إذ تنوعت وتعددت المصطلحات الدالة عليه (التبدل أو الإبدال، أو التنوع، أو التحول، أو التغير)، وهذا ما يؤكد أن المصطلحات الصوتية أكثر المصطلحات اللغوية تطورا، ولقد عالج علماء العربية قديما ما طرأ على أبنيتها من تطور وتغير، ويتمثل هذا التطور في أصواتها من خلال دراستهم لبعض الموضوعات اللغوية كالإعلال، والقلب، والتماثل، والتخالف، والإبدال، وهذا ما سنحاول التفصيل فيه من خلال الوقوف على مسارات الإبدال الصوتي وأثره في العربية في المحور الأخير من هذا المقال.

٢ - إبستمولوجية المصطلح الصوتي

تتطور اللغة نسبيا لتطور الحياة لدى الإنسان في عصور التاريـخ المختلفة، ومن اللغات ما أصبح ميتا لأن أصحابها ماتوا، وانطلاقا من حيوية اللغة المتطورة على ألسنة المتكلمين،

ينشأ الاختلاف بين لغة العصر والعصر الذي سبقه، مما يؤدي إلى صراع بين أنصار الشكل القديم وأنصار الشكل الجديد، وكل جديد مصيره إلى القديم، إن هذا الصراع لا يتم بين يوم وليلة، ولا يغطي على القديم فجأة بل يظل بينهما لفترة قد تطول وقد تقصر، غير أن الانتصار يكون في النهاية للشكل الجديد(عبد التواب، ١٩٩٤).

إن أقصى عمر اللغات لا يتعدى قرنين من الزمان فهي دائمة التطور والتغير، وعرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة، تأخذ منها وتعطي، ولا تجد في ذلك حرجا، يقول رمضان عبد التواب، وليس ببعيد عن بعض المراحل التطورية ما حدث لكلمة... (مَوْلَى) العربية بمعنى السيد على يد الأتراك، إذ انكمش فيها الصوت المركب أولا، فصارت الكلمة (مُولَى) ثم أُغلق المقطع الأول عن طريق تشديد الحرف الثاني، فصارت الكلمة (مُلا)، وقد توقف بعض الأتراك بالكلمة عند هذا الحد، وفي أسمائهم القديمة (مراد مُلا) مثلا غير أن الكلمة تطورت عند بعضهم تطورا آخر بالمخالفة الصوتية، أبدل الأتراك من اللام الأول نونا، وبذلك صارت الكلمة (منلا) (عبد التواب، ٢٠٠٠ ص: ٣٠٣، بتصرف).

الملاحظ إذن في حركة الأصوات من طرف الناطقين بها، أنّها تقوم في صيرورتها نحو التغيّر وعدم الاستقرار وذلك بحثاً عن أيسرها نطقا، وأقلّها جهداً، فحين ينطق المرء مثلا، بأصوات لغته نطقاً طبيعيّاً لا تكلّف فيه، يتبين أنّ أصوات الكلمة الواحدة لا تثبت على حال، فهي كثيرة التغيّر والتنقّل، كما أنّها قد تغيّر قليلا من مخرجها فتنتقل من نقطة إلى أخرى في مجراها الصوتي، وكذا قد تغيّر صفة أو أكثر من صفاتها التي كانت لها.

وقد ذهب البعض إلى أن التطوّر الصوتي مسألة مرتبطة أساسا ببعض التغيرات الصوتية ومنها الإبدال، الذي يرجع السبب في كثير من صوره إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة، يقول إبراهيم السّامرائي: إن "العربية قد اشتملت على لغات عدّة هي لغات القبائل المختلفة، وطبيعي أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة، وعلى هذا فإن كثيراً ممّا حُمِّل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات." (السامرائي، ١٩٨١، ص: ١١٥ بتصرف)

مرّت ظاهرة تطور المصطلح الصوتي بمراحل طويلة تطوّرت فيها الأصوات، وتأثّر بعضها ببعض بسبب التجاور والتقارب في صفاتها ومخارجها، وهذا من شأنه التأكيد أنّ إبستيمية التطوّر الصوتي تعد عاملا أساسيا في نشأة ظواهر صوتية عدة، ومنها ظاهرة الإبدال كما أقرّت بذلك الدراسات اللغوية القديمة منها والحديثة.

3 – مسارات الإبدال الصوتي وأثره في العربية

يُعرف الإبدال بأنه مجموعة من التغيّرات الصوتية التي تطرأ على الأصوات، فهو إبدال صوت من صوت، بحيث يتحوّل الصوت الواحد إلى صوت آخر، مع الإبقاء على الأصوات الأخرى للكلمة، والاحتفاظ بدلالتها ومعناها الأصلي، وقد أشار إلى ذلك بسام بركة بقوله الإبدال: "هو استبدال صوت مكان صوت آخر أو مقطع مكان مقطع آخر، وما يحدث من تغيير في الدلالات يفضي إلى تغيير في المدلولات"(بركة، 1988، ص: 32، بتصرف).

أي أن تقارب الصوتين يفضي إلى تقارب ملموس بين اللفظين، وبذلك يكون الإبدال عاملاً مهما من عوامل تطور ونموّ اللغة، ولا تكاد تخلو منه لغة من اللغات.

يذهب إبراهيم أنيس إلى أنه "حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينا، أو من تباين اللهجات حينا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز صوتا من أصواتها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها" (أنيس، من أسرار اللغة، ص: ٥٨).

ويشير أحمد مختار إلى الإبدال بقوله: "التعديلات التكييفية للصوت بسبب مجاورته – ولا نقول ملاصقته- لأصوات أخرى، وهي ... تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة تماثلا جزئيا أو كليا"(عمر، ١٩٨٥، ص: ٣٧٨).

إن اللغة العربية هي إحدى اللغات التي عَرَفت ظاهرة الإبدال في كثير من مفرداتها، فنجد أصوات الكلمة الواحدة تتغيّر، ليتحول صوت مكان آخر تجمع بينهما صفات المماثلة أو المقاربة، مع إبقاء الأصوات الأخرى، دون أن يؤدي ذلك إلى تغيّر في المعنى، غير أن علماء اللغة المحدثين اشترطوا في ذلك توفر مجوعة من العلاقات الصوتية ومنها:

أ- التماثل، أي أن يتحد الصوتان مخرجا وصفة.

ب- التجانس، أي أن يتفق الصوتان مخرجا، ويختلفان صفة كالدال والتاء.

ج- التقارب وهو:

- أن يتقارب الصوتان مخرجا ويتحدا صفة كالحاء والهاء.

- أن يتقارب الصوتان مخرجا وصفة كاللام والراء.

- أن يتقارب الصوتان مخرجا ويتباعدا صفة كالدال والسين.

- أن يتقارب الصوتان صفة ويتباعدا مخرجا كالشين والسين.

د- التباعد وهو:

- أن يتباعد الصوتان مخرجا ويتحدا صفة كالنون والجيم.

- أن يتباعد الصوتان مخرجا وصفة كالميم والضاد.

وبذلك فالعلاقات الصوتية تتدخل في عملية الإبدال، فالقرب في المخرج أو الصفة شرط أساسي في كل إبدال (مرعي، ٢٠١٦، ص: ٢١١، بتصرف).

قسم اللسانيون المحدثون الإبدال إلى إبدال يقع بين الصوامت وآخر يقع بين الصوائت نبرزهما كالآتي:

- الإبدال بين الصوامت

تطرق اللسانيون إلى هذه الظاهرة اللغوية الصوتية، وتقاربت آراءَهم في ذلك إلى حدّ ما، ونذكر من الأوائل أحمد فارس الشدياق صاحب معجم "سرّ الليالي في القلب والإبدال" الذي ذهب إلى القول بأن أكثر الألفاظ التي يعتريها الإبدال هي "الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشقّ والفرق والتبديد، لأنّها كلّها من جنس واحد، وجلّها مأخوذة من حكاية صوت نحو: قَتَّ وقَدَّ وقَضَّ، قَطَّ وجَدَّ، جَثَّ وجَذَّ وجَزَّ،..."(الشدياق، سر الليالي في القلب والإبدال، ص: ٥).

ومن المحدثين أيضًا صادق الرافعي، الذي ذهب إلى إمكان وقوع الإبدال بين الصوتين ويكون إمّا في لغة القبيلة الواحدة، أو يكون في لغتين لقبيلتين مفترقتين." (الرافعي، ١٩٧٤، ج ١/١٤٦)

ومن الأمثلة الدالة على الإبدال بين الصوامت نذكر:

أ- تبدل تاء الكلمات التي على وزن (افتعل) طاء:

إذا كانت فاؤها من أحد حروف الإطباق (ص، ض، ط، ظ) ففي كلمة (اصتبر) نقول (اصطبر)، وفي كلمة (اضترب) نقول (اضطرب)، أي أنه تم تحويل صوت التاء طاء لأنه كان مسبوقا بالصاد أو الضاد.

ب- تبدل تاء الكلمات التي على وزن (افتعل) دالا:

إذا كانت فاؤها ذالا، أو دالا، أو زايا: (ذ، د، ز) ففي كلمة (مذتكر) نقول (مدكر)، أي أنه تم تحويل صوت التاء دالا لأنه كان مسبوقا بالذال.

ج- تبدل الزاي من الصاد كقولنا (مزدق) في كلمة (مصدق).

إن الإبدال الذي يلحق الصوامت، يصيب الصوائت أيضاً، فنجد الكلمة الواحدة تَرِدُ مرّة بالضمّ وأخرى بالكسر، وثالثة بالفتح من غير أن يغير ذلك المعنى.

- الإبدال بين الصوائت

أشار المحدثون إلى ظاهرة الإبدال بين الصوائت الذي يكون مردّه إلى اختلاف تردّد هذه الصوائت فيما بينها في اللهجات العربية، حيث إن ما كان بالضمّ في لغة، قد يكون بالكسر أو الفتح في لغة أخرى، أو ما كان بالضمّ في لغة يأتي بالكسر أو الفتح في لغة أخرى، وهكذا، وقد امتدّ الإبدال بين الصوائت القصيرة إلى إبدال بين الصوائت الطويلة (الألف والواو والياء).

ومن بين الأمثلة الدالة على ذلك نذكر:

أ. تبديل الواو ياء كقولنا: (حكوت) تصير (حكيت).

ب. تبديل الألف واوا في قولنا (قال) تصير (يقول).

ج. تبديل السكون ضمة كقولنا (العنْق) تنطق ب (العنُق).

د. تبديل الفتحة كسرة في قولنا (الوَتر) تنطق ب (الوِتر).

تحدث أحمد علم الجندي في كتابه التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي والصرفي عن التحولات الطارئة بين الصوائت، من خلال وقوفه على حرفي العلة (الواو والياء) وإمكانية

إقامة بعضهما مكان البعض مثل: نسيان ونسوان، وعزوت الرجل وعزيته إذا نسبته إلى أبيه، والمواثق والمياثق، والصيام والصوام(الجندي، التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي والصرفي، ص: ٤٠، ١٠٨، ١٢٨، بتصرف).

وأكد إبراهيم أنيس أن ظاهرة الإبدال بين الصوائت نشأت إثر دخول مستويات اللهجات العربية القديمة في العربية الموحّدة، غير أن مردّ كثرة هذا الإبدال أُخْتلِف فيه، فردّه البعض إلى عامل البيئة، أي أنّ الصيغة المشتملة على الضمّ، تنتمي إلى بيئة بدوية، وأنّ المشتملة على الكسر، تنتمي إلى بيئة حضرية(أنيس، ١٩٩٥).

وفي هذا السياق نؤكد أن مسارات الإبدال الصوتي تحكمها مجموعة من القواعد الصواتية، وخاصة القواعد التي جاءت بها الصواتة التوليدية نوردها كالآتي:

. القاعدة الأولى (التعويضية):

" أ ب": هذه القاعدة تعني أن كل عنصر أ يعوض بالعنصر ب.

وتقرأ " أ يعوض ب " أو " أ يحول إلى ب"

فإذا أردنا مثلا تغيير حرف النفي الدال على الماضي " لم " ، إلى حرف نفي دال على المستقبل " لن " بإمكاننا أن نكتب: / ن /، ولكن هذه القاعدة إذا طبقت على جملة مثل (لم أسمع) فإنها تحول إلى (لن أسنع) ، ولذلك فإنه يجب تحديد النطاق الذي نطبق فيه القاعدة.

القاعدة الثانية:

أ ب / س . ع_

هذه القاعدة تقرأ أ يحول إلى ب عندما يكون مسبوقا بالعنصر س ومتبوعا بالعنصر ع ، والرمز../ .. يعني " في السياق" والخط " . " هو مكان العنصر الذي يطبق عليه التحويل.

فإذا أردنا مثلا تكوين المثنى من: حمراء لتصير حمراوان
القاعدة تكتب: ء وان / حمرا#
وتقرأ: الهمزة تصير " وان " عندما تكون في نهاية الكلمة ومسبوقة " بحمرا. "

الرمز # معناه: حد من حدي الكلمة (نهاية الكلمة).
وإذا أردنا أن تكون هذه القاعدة عامة ولا تقتصر على كلمة حمراء يلزمنا أن نعطيها شكلا أعم مثل:

مثنى ـ / اء / / اوان /

التي تعني أن : " مثنى " + " اء " = / اوان/

القاعدة الثالثة:

ت ط / ص ـ

وهذه القاعدة تعني أن التاء تصير طاء بعد الصاد.

ونأخذ مثال لهذه القاعدة:
(اصتلح تبدل ب اصطلح، اصتبر تبدل ب اصطبر) التاء التي تفخم بعد الصاد تبدل طاء.

ويمكننا أيضا تعزيز ما جاء به الدكتور عبد الرزاق تورابي، حث ذهب إلى القول أنه: "صار التعبير عن السيرورات الصواتية بواسطة قواعد إعادة الكتابة، التي تعدل التمثيلات التحتية لتصير تمثيلات سطحية في اشتقاق صواتي خطي، وتأخذ قواعد إعادة الكتابة الصورة الآتية:

أ ب / س ـ ي

وتقرأ القاعدة: تعاد كتابة القطعة أ إلى ب إذا وردت في سياق (/) س وي.

وتوجد ٤ أنواع من قواعد إعادة الكتابة: قواعد تغيير السمات، قواعد الحذف والزيادة، قواعد القلب المكاني والإدغام، قواعد لها متغيرات، ويمكن أن نمثل لهذه القواعد:

[+ تاجي، ـ مجهور] ⟵ [+مجهور] / [+ مجهور] ـ

/زت – ِ هـ – ِ ر+ – َ/ التمثيل التحتي

زد – ِ هـ – ِ ر+ – ِ القاعدة

[ازْدَهَرَ] التمثيل السطحي" (تورابي، ٢٠٢٠)

من خلال هذه الآراء المتعلقة بالتحولات والتغيرات الحاصلة بين الصوامت

والصوائت، يتضح لنا أنّ الإبدال ظاهرة صوتية واردت في اللغة العربية بشكل لا يمكن نكرانه، وقد ساهمت بدور كبير في تطور مصطلحات اللغة العربية وإغناء إيقاع كلماتها، إضافة إلى العمل على التخفيف في نطق بعض الأصوات، والميل نحو اقتصاد الجهد، والتيسير في سرعة الأداء.

خلاصة

وأخيرا، فإن التطور الذي يلحق اللغات بصفة عامة، واللغة العربية خاصة، يكون فيه التطور الصوتي هو الأوضح، لأنه ناتج عن تغيرات صوتية تتدخل فيها عوامل وظواهر صوتية عدة، ومنها الإبدال الصوتي، وتمر عبر مراحل، كما أنه لا يحدث بشكل عشوائي، وهذا أيضا يجعلنا نؤكد أن حركة الصوت اللغوي داخل بيئته يسير دائما نحو السهولة واليسر، ووفق صيرورة إبستيمية عبر الزمان والمكان.

قائمة المراجع

أنيس، إبراهيم. (د.ت). من أسرار اللغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس، إبراهيم. (١٩٩٥). في اللهجات العربية (الطبعة التاسعة). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

الجندي، أحمد علم الدين. (١٩٧٧). التعاقب والعقاب من الناحيتين الصوتية والصرفية. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٤٠.

الخالدي، عبد القادر. (١٩٩٣). المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة الحديث. الأردن: جامعة مؤتة.

الدرة، بسام بركة. (١٩٨٨). علم الأصوات العام (الطبعة الأولى). بيروت: منشورات المركز القومي للإنماء.

رافعي، مصطفى صادق. (١٩٧٤). تاريخ آداب العرب (الجزء الأول، الطبعة الرابعة). بيروت: دار الكتاب العربي.

سامرائي، إبراهيم. (١٩٨١). التطور اللغوي التاريخي (الطبعة الثانية). بيروت: دار الأندلس.

شاهين، عبد الصبور. (١٩٧٥). في التطور اللغوي (الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة دار العلوم.

شَدْياق، أحمد فارس. (د.ت). سر الليالي في القلب والإبدال. إسطنبول: المطبعة الأميرية السلطانية.

عبد التواب، رمضان. (١٩٩٤). دراسات وتعليقات في اللغة (الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد التواب، رمضان. (٢٠٠٠). اللحن العام والتطور اللغوي. القاهرة: (دون ناشر.(

عمر، أحمد مختار. (١٩٨٥). دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب.

ماري، عبد القادر. (٢٠١٦). المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء (الطبعة الأولى). الأردن: عالم الكتب الحديث.

مارتينيه، أندريه. (١٩٩٦). وظيفة اللغة وديناميتها (ترجمة نادر سراج، الطبعة الأولى). بيروت: دار المنتخب العربي.

طرابي، عبد الرزاق. (٢٠٢٠). الصوت العربي: تقعيد التماثل واكتساب اللغة (الطبعة الأولى). الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.